

## حتى لا تتحول الهدنة الفلسطينية إلى ورطة!

02-7-2003

وعليه، فإن على الحركات المقاومة أن تكون حذرة من أن تسير في طريق ليس طريقها، ومسار لا يحقق هدفها فتعمل - من حيث لا تدري - على ما يؤخر تحقق أهدافها ويضعف مقاومتها وشعبيتها، وتصبح الهدنة بالتالي استدراجاً مورطاً لها فيجري التركيز من كل الأطراف على ضرورة الالتزام بأصل الهدنة وينسون في غمرة كل ذلك الداعي لها من شروط مؤسسة للهدنة.

**بقلم إبراهيم أبو الهيجاء**

الهدنة الفلسطينية أو إن شئت التعليق المؤقت للعمليات الفلسطينية تعاني من عدة اشكاليات :

الإعتقاد أن فترة الثلاثة أشهر كافية لتثبيت للعالم أن شارون هو المذنب وليس المقاومة.

الأعتقاد أن استئناف المقاومة سيكون سهلاً عند أول اختراق اسرائيلي أو عدم وفاء اسرائيل بالتزاماتها.

القول أن الهدنة هي مبادرة موجهة للشعب الفلسطيني وأنه من غير المهم رد الفعل الاسرائيلي أو الحديث عن كون الهدنة غير معنية بخارطة الطريق أو استحقاقاتها .

الظن بأن الهدنة تحافظ على مقدرات الحركات المقاومة وتمنع من دخولها في معترك اقتتالي مع السلطة .

(1)

يعاني خطاب الهدنة الفلسطيني من اشكالية أخطر وهي أنه خطاب ضعيف لا قوة، فقد أنجزت الهدنة تحت وقع الضربات الاسرائيلية، والأخطر أن هذا الخطاب لم يات كجزء من التزامات مقابلة من الطرف المعتدي، والأشد خطراً أن مطالبه تتعلق بآثار العدوان أي (لاعتقالات، الاغتيالات، التوغلات)، وليس لديه مطلب على مستوى الهدف الكلي للمقاومة، أي تحقق جزء من التحرير أو شمولية التحرير، بل هو قاصر على مطالب تمس بمن اعتقل من أجل هذا الهدف، أو منع اغتيال من يعمل لهذا الهدف ...

باختصار الهدنة تعلي هدف الذات على القضية، وهذا كارثي على الحقوق، نحن نثق بمستقبل المقاومة ونجزم أن التحرير إن فشل فيه جيل سيتولى تحمل مسؤولياته جيل جديد، ولكن علينا أن نصنف العثرات كما هي، ونضيف خطأ الهدنة إلى أخطاء الثورة الفلسطينية، التي طالما تورطت في الانجرار وراء خداع وعود العرب الرسميين، وليس صحيحاً أن الحركات المقاومة وصلت للحظة الإضطرار والحفاظ على الذات حتى تلوذ بالخيار الأخير.

(2)

ثم إن الافتراض أن أفعال إسرائيلي هي المحدد لحركة المقاومة ومفاعيلها من خلال القول "إن أي اختراق لشروط الوقف تعني استئناف المقاومة", يناقض خطاب الهدنة "بأن حركات المقاومة لا يعينها رد فعل المحتل", والصحيح هو إما أن تعلق أعمال المقاومة بدون شروط، وبذلك تكون حركات المقاومة معفية من التزامات الإستمرار أو أن تعلن أن لديها شروطا إن لم يلتزم بها الطرف الآخر، فستكون في حل من تلك الالتزامات، أما الجمع بين الأمرين، فيعكس تخطيط موقف ووجود اشكالية في مفهوم الهدنة أو التعليق.. خاصة أننا نعلم أن تحقق تلك الشروط مرتبط أساسا بأفعال الإحتلال، الذي يعلن أن ما جرى هو حوار داخلي فلسطيني لاعلاقة له به ... ورغم وقف أعمال المقاومة فعليا، فإن الإحتلال لم يلتزم قولاً بأي من شروطها فكيف سيلتزم فعليا بها؟

(3)

بل إن الأولى أن يأتي إعلان هدنة الحركات المقاومة بعد إعلان الإحتلال إما التزامه بها أو تحقيق شرط من شروطها، مثلا كالإفراج عن المعتقلين، وبعدها يقال إننا مستعدون لكذا أو كذا، أو على الأقل أن يعلن المحتل أنه مستعد لكذا مقابل استعداد الفلسطينيين لكذا، وهذا لم يقع إلى الآن، وبدا كأن حركات المقاومة تتخذ موقفا التعليق كجزء من استحقاقات خارطة الطريق، وبذلك تتورط حركات المقاومة من حيث لا تدري في تلك الإستحقاقات وتصبح كمن يعطي الفرصة لها أو يمهد لنجاحها وهذا فعل سياسي يتناقض مع الفكر السياسي لكل الحركات المقاومة التي ترفض فعليا خارطة الطريق، والأخطر أن تكون أفعالها مقدمة لنحرها، باعتبار الخطوة التالية المتوقعة هي تفكيكك بنيتها، كما تنص على ذلك خارطة الطريق .

(4)

وهنا تأتي النقطة الرابعة.. إن ما جرى هو فعليا تأجيل للصدام الحتمي مع مشروع السلطة الفلسطينية الملتزم بخارطة الطريق بينما فكر وسلوك حركات المقاومة رافض لها، وكان من الأولى أن تأخذ الحركات المقاومة على الأقل الضمانات اللازمة لمنع ذلك قبل إعلانه، أن تحصل من السلطة على وثيقة مكتوبة ترفض أو تلغي بند تفكيك بنى المقاومة الفلسطينية الوارد في خارطة الطريق، أما الثقة بالنيات فليس من العمل السياسي في شيء .

(5)

وإشكالية حركات المقاومة، الظن أنه من السهل عليها ممارسة المقاومة بعد إختلال الاحتلال بالاتفاق.. في حين يمكن رصد أكثر من مؤشر على أن الإحتلال لا زال يخل بشروط حركات المقاومة وهذا دأبه، فمثلا :

رفض الإحتلال شروط المقاومة للهدنة علنا، بل إنه يطالب بتفكيك بناها وهذا موقف مقرر لدى الأمريكان أيضا، أي أن شروط المقاومة مرفوضة كفكرة قبل أن تكون مرفوضة كفعل، لا زال الحصار مضروبا وهناك حوادث اعتداء وقتل واعتقال جديدة، الجدار الفاصل لا زال قائما، والإعلان عن السماح لليهود بدخول المسجد الأقصى... نحن نعترف بأن هناك تخفيف في

الإجراءات الاسرائيلية ولكن هذا جزء من اتفاقات السلطة مع الاحتلال وبالتالي مرتبط أداؤها وليس له علاقة بالمقاومة أو هدنتها أو اشروطها، وهذا ما أعلنته اسرائيل بوضوح.

ونعلم أن حركات المقاومة لا يمكنها التبرؤ من هدنتها لمجرد حوادث صغيرة، أو تقييم خطواتها في زمن قصير... ولكن على حركات المقاومة الإعتراف أن الزمن لا يعمل لصالحها، فكلما غضت حركات المقاومة الطرف عن الحوادث الصغيرة وتقدم الزمن فقدت المقاومة مبادرتها وتورطت بالغض عن حوادث أكبر، وشعر الفلسطينين بالتغيير الخادع ... وعندها سيكون استئناف المقاومة صعبا، وستختلف حركات المقاومة فيما بينها حول تفسير الاختراق أو ماهية الالتزام، وهكذا تدريجيا ستجد حركات المقاومة أنها تخضع لحسابات جديدة، وخلافات حول أصل المقاومة، وسيكون خطر الاقتتال الداخلي أكبر، وذلك لعدة أسباب :

- إن الطرف الرسمي المؤمن بوقف المقاومة سيكون قد أعاد تنظيم ذاته وبالتالي قادر على مواجهتها.

- الحركات المقاومة ستختلف فيما بينها حول أصل المقاومة في هذه الظروف أو حول تفسير معنى الخرق الإسرائيلي .

- الشعب الفلسطيني سينقسم هو الآخر بعد الهدنة، باعتباره سيتوزع بين طرفين، طرف بدأ يفسر التغيرات الخادعة بأنها جديدة، وطرف آخر سيتمسك بأن المشكلة ليست تحسن الأوضاع الإنسانية بل إزالة الإحتلال، وسيدافع كل طرف عن وجهة نظره بقوة. وبذلك سيخسر مشروع المقاومة جزءا من قوته الداخلية والشعبية والأخطر أنه سيكون في صدام جدي مع أطراف فلسطينية داخلية ترى الإلتزام بالتسوية جزء من شرعية وجودها ومشروعها السياسي والحفاظ على سلطتها.

(6)

وهنا تأتي النقطة الأخيرة الأولى في الإشكاليات التي ذكرناها في البدء وهي ( المجتمع الدولي والعلاقات العربية).. وطن حركات المقاومة أنها بهدنتها تحافظ عليها (أي العلاقات) وتمنع من غضبها أو انحيازها كليا ضدها. ومن الجيد أن تحسب تلك الحركات أهمية ذلك وإيجابيته في نضالها، ولكن تلك العلاقات متغيرة ومتبدلة، وعندما تتنصل حركات المقاومة من هدنتها نتاج ممارسات عدوانية جديدة، فإن تلك الأطراف سيغيرها الضغط الأول على حركات المقاومة إلى ضغط أشد وأنكى، وبذلك ستكون حركات المقاومة أكثر ارتهانا بالرضى وغضب ذلك المجتمع الدولي، الذي كان موقفه تجاه حقوق الشعب الفلسطيني وتجاه العدوان الإسرائيلي على الدوام منحازا... وإن الضغوط الأولى هي محاولات لنزع هذه الشرعية وليس العكس كما تظن حركات المقاومة.

(7)

إن كانت نية حركات المقاومة بهذه الهدنة استدرج الإحتلال إلى فخ تلك الشروط، بالظن أنه سيتنصل منها وبالتالي سيجعل المقاومة مبررة وشرعية أكثر، فقد بينا فيما سبق خطأ ذلك، خاصة إذا ما قرر الإحتلال المضي بخارطة الطريق من جهة واستجابات السلطة لتعديلاته، فعندها

تكون الهدنة بلا هدف استراتيجي حقيقي، يستهدف في النهاية رفض التسوية وطرد الإحتلال، لأن الهدنة ستكون في ضوء ما تقدم هي أقرب إلى تكتيك مغامر يؤذي المقاومة ولا يخدمها.

بالتأكيد نحن لا نرجم بالغيب، ولا نعلم إن كان هناك ضمانات أو مكاسب لحركات المقاومة قوية وحقيقة .. يجعلها إلى هذا الحد واثقة من خطواتها، ولكن كلنا يعلم أن لغة المصالح وليس المبادئ هي ما يحكم السلوك السياسي للأطراف الدولية والإقليمية التي تراهن ربما حركات المقاومة على ضماناتها، بل إن مسالك تلك الأطراف تاريخيا يتصف على الدوام بالكذب والخداع، وتفهمها لنضال حركات المقاومة مشكوك فيه مالم تصر تلك الحركات بعناد على مقاومتها وحقوقها.

وعليه، فإن على الحركات المقاومة أن تكون حذرة من أن تسير في طريق ليس طريقها، ومسار لا يحقق هدفها فتعمل - من حيث لا تدري - على ما يؤخر تحقق أهدافها ويضعف مقاومتها وشعبيتها، وتصبح الهدنة بالتالي استدراجا مورطا لها فيجري التركيز من كل الأطراف على ضرورة الالتزام بأصل الهدنة وينسون في غمرة كل ذلك الداعي لها من شروط مؤسسة للهدنة.